

و. عبّاد اللّامياتي

# خوارزميات

كيف نحمي بالإيمان؛  
أنفسنا ومجتمعنا ...  
ونعيد بناء حضارتنا ...



الدار العربية للعلوم ناشرون  
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L.

# الفصل الأول

## الإيمان

### مقدمة

يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: 97]، ويقول أيضاً: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [النور: 55].

فالإيمان من الفطرة التي فطر الله الناس عليها. وما رجوع الإنسان إلى ربه عند الشدائد، إلا دليل على أنه يُقر بفطرته بوجود الله رباً وخالقاً وهادياً ومنعماً. ويقول النبي عليه الصلاة والسلام: «كل مولود يولد على الفطرة (أي على فطرة الإسلام والإيمان بالله) فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» (رواه البخاري).

## 1- الإيمان بالله تعالى رباً وخالقاً

عجبت لمن له عقل وفكر، وسمع وبصر، كيف لا يؤمن بأن الله تعالى هو خالق كل شيء، خالق الأرض والسماء وما فيهن، وخالق الشمس والقمر، وكل يجري لأجل مسمى، وجعل الشمس سراجاً والقمر نوراً، يُكْوِّر الليل على النهار، والنهار على الليل، ولو شاء لجعل النهار سرمداً لا سكن فيه، أو جعل الليل سرمداً لا سعي ولا عمارة للأرض فيه، فكل شيء عنده بمقدار. اكتشف العلماء من غير المسلمين في القرن العشرين أن الأرض كانت رتقاً مع السماء، فشاءت إرادة الله فتحهما، لتتأسس حياة خصبة على الأرض. وقد جاء ذلك في القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرناً من الزمان: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [ الأنبياء : 30 ]. ويقول تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُم مِّنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ...﴾ [ لقمان : 25 ]

• سألو الإمام الشافعي رضي الله عنه: ما الدليل على وجود الصانع؟ فقال: ورقة التوت، طعمها ولونها وريحها وطبعها واحد عندكم؟ قالوا نعم. قال: فتأكلها دودة القز، فيخرج منها الإبريسم (الحرير)، والنحل فيخرج منها العسل، والشاة فتربّي اللحم ويخرج اللبن، ويأكلها الطباء فتغذيها وينعقد في نوافحها المسك، فمن الذي جعل هذه الأشياء متنوعة الإفرازات، والغذاء واحد؟ فاستحسنوا منه ذلك وتابوا.

• سُئِلَ أعرابي عن الدليل على وجود الخالق، فقال: البعرة تدلّ على البعير، والروث على الحمير، وآثار الأقدام على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، أما تدل على الحليم العليم القدير. (الرازي ج 2، ص 333 - 334) عندما خلق الله تعالى الأرض، جعل فيها الجبال رواسي، وجعل فيها البحار والأنهار، وخلق الحيوان والنبات وسخر كل ذلك للإنسان الذي خلقه بعد ذلك، وجعله خليفة في الأرض، ليعمرها بالعلم الذي علّمه بداية لآدم، وجعل أداة تطويره فيما بعد على يد هذا الإنسان الذي هداه وبيّن له الطريق الذي عليه أن يسلكه: إما إلى خيرٍ فلنفسه، أو إلى شرٍّ فعليها.

خلق الله تعالى الإنسان من تراب، وجعل الموت حقاً على كل إنسان «كل نفس ذائقة الموت»، ليعود إلى التراب الذي بدأ منه. وجعل نسله من سلالة من ماء مهين، وكزّمه على سائر مخلوقاته الأخرى، في خلقه وتكوينه. وفي كل ذلك إعجاز يفوق كل وصف: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلْقُونَ \* أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: 35 - 36]، ويقول تعالى أيضاً: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: 21]، وفي عقله وإبداعه أيضاً، يقول عليه الصلاة والسلام: «أتمّمكم عقلاً أشدّكم لله خوفاً، وأحسنكم في ما أمّر به ونهى عنه نظراً» (بغية الباحث عن زوائد مسند الحارث، كتاب الأدب، الحديث رقم 826).

## 2- الإيمان بالقرآن الكريم كتاباً منزلاً من رب العالمين

عجبتُ لمن له عقل وفكر، وسمع وبصر، كيف لا يؤمن بأن الله حق، وكتاب الله الخاتم حق، ومنزل من رب العالمين، وهو يرى ما فيه من إعجاز علمي لا يتوقف مهما تسارع التطور العلمي، رغم أنه مضى على نزوله أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، وإعجازه اللغوي حاصلٌ منذ نزوله وحتى يومنا هذا، لأنه نزل في قومٍ لغتهم أصل اللغات، وبراعتهم اللغوية بلغت الآفاق، ومبارزاتهم الشعرية والأدبية سطرها التاريخ.

وقد حفظه الله تعالى دون سائر الكتب السماوية من كل تحريف أو زيادة أو نقصان، في قلوب الحفاظ فهو «لا يخلقُ على كثرة الردِّ ولا تنقضي عجائبه» كما يقول المصطفى عليه الصلاة والسلام (رواه الترمذي عن علي بن أبي طالب). وهذا التحدي يبقى قائماً إلى أن تقوم الساعة كما في الآية الكريمة ﴿...فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ...﴾ [البقرة: 23]. ورحم الله القائل «لغة القرآن لا يمكن أن يرقى إليها بشر».

عجبتُ لمن له عقل وفكر، وسمع وبصر، كيف لا يؤمن بأن الله حق، وكتابه الخاتم حق، وهو منزل من رب العالمين، وهو يرى ما فيه من حِكْمٍ وأحكام، وعلومٍ وتشريعٍ ومعارف، وأوامرٍ ونواهي، ووعدٍ ووعيد، وحلالٍ وحرام، وثوابٍ وعقاب، وسلاسةٍ وبلاغة، وتيسيرٍ للحفظ والذكر، وما فيه من قصصٍ وعبر، وما فيه من هدىٍ ونور، وما له من حلاوةٍ وما عليه من طلاوة، مثمرٌ أعلاه

مغدقٌ أسفله، يعلو ولا يُعلى عليه، وقد نزل به الروح الأمين، على قلب رسول أمين، وهو بشر من خَلَقِ الله، فأصبح به سيد الخَلْق أجمعين، وإن كان لا يقرأ ولا يكتب، وقد انتشر بين الناس كما لم ينتشر أي كتابٍ آخر، سماوياً كان أو غير سماوي؛ بل وأكثر من ذلك، فهو يُتلى على لسان القارئ كما تُلي منذ أربعة عشر قرناً من الزمان، قارئاً عن قارىء، وحافظاً عن حافظ، بسند متصل إلى رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم. وقد جعل الله في تلاوته وتدبر معانيه، تغييراً جذرياً نحو الأفضل على جميع المستويات الإيمانية والفكرية والأخلاقية واللغوية والنفسية والسلوكية، الفردية والمجتمعية، وقد وصفت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأرضاها، خُلِقَ النبي عليه الصلاة والسلام، عندما سُئلت عنه، فقالت: كان خُلِقَ القرآن. كما استحق بذلك شهادة رب العالمين بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [ القلم : 4 ].

### 3- الإيمان برسول الله محمد صَلَّى الله عليه وسلم خاتم

#### النبين

عجبتُ لمن له عقل وفكر، وسمع وبصر، كيف لا يؤمن برسول الله أجمعين، وقد ذَكَرَ القرآنُ الكريم، وجميع الكتب السماوية، وغيرها، قصصهم، وشرائعهم التي أنزلها الله عليهم، وما فيها من حكم وأحكام تناسب قوم كلٍّ منهم في حينه، إلا خاتمهم، محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، الذي بعثه الله

رحمة للعالمين كافة، في حينه، وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. بعثه في قومٍ لا حضارة لهم، وفي أرضٍ لا زرع فيها إلا من نخيل، ولا ماء فيها من ينابيع إلا القليل، فعاش قومه على رعي الإبل والغنم في المراعي القريبة من هذه الينابيع؛ وفي أرضٍ طقسها حارٌّ جداً ومطرها قليل جداً، فكان هذا الرسولُ الأوّل على «المئة الأوائل» في العالم - كما يقول مايكل هارت (غير المسلم) في كتابه «المئة الأوائل» - لأنه «الرجل الوحيد في التاريخ كله، الذي نجح أعلى نجاح على المستويين الديني والديني».

أرسل الله تعالى هذا النبي للخلق كافة وآتاه جوامع الكلم وبدائع الحكم، فكان في بضع كلمات يجمع المعاني الكثيرة، والأمور والأعمال الكبيرة. «فالطهور شرط الإيمان» و«الحلال بين والحرام بين»، و«إنما الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى»، و«اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخُلُق حسن»، و«الناس معادن»، و«المستشار مؤتمن»، و«لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين»، و«اعقلها وتوكل»، و«قل آمنتم بالله ثم استقم»، وغير ذلك كثير جداً مما حوته الكتب الصحاح في «البخاري» و«مسلم» و«الترمذي» وغيرها. ورحم الله القائل: «بلاغة الحديث النبوي هي أقصى ما يمكن أن يرقى إليه بشر».

والله تعالى بعث هذا النبي الرسول في جوار أول بيت وُضع

للناس على هذه الأرض، ليختم به الرسالات السماوية، ويُنزَل عليه شريعة خالدة، تكون بداية حضارة إنسانية لم يعرف لها التاريخ مثيلاً. فكان هذا النبي - الذي ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [ النجم 3-4 ] يقول: «تركت فيكم أمرين، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي» (موطأ الإمام مالك). ولم يعرف العالم كله كتاباً لم يتعرض لتحريف أو تغيير أو تبديل سوى كتاب الله، ولم يحظ بشرٌّ على الإطلاق بالتوثيق والتثبيت من كلامه وأفعاله، وأدق تفاصيل حياته، كما حظي به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليكونا (الكتاب والسنة) نبراس الهداية وضياءً لمن تمسك بهما على مر العصور والأزمنة، بل ولكل من يلتزم بهذه المبادئ في كل تنوعها وتشعبها، من أي أصل أو عرق أو لون، ليكون قائداً في مسيرة الحضارة الإنسانية.

والله تعالى بعث هذا النبي أمياً وفي قومٍ أميين، وقام بتعليمهم الكتاب والحكمة ليسودوا الأمم كما يقول تعالى: ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [ البقرة: 151 ]، ويقول أيضاً: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [ الجمعة: 2 ]. فكان لذلك قدوة



لأصحابه في حسن الخلق، والصدق والأمانة، والجلم والقناعة،  
والوفاء والإخلاص، والتعاون والتواضع و..... فأسس بما آتاه  
الله تعالى في بداية البعثة «أكاديمية القادة» التي تخرج منها رجالاً  
كانوا قادة الدعوة إلى الله، والحكم بما أنزل الله، وإدارة مال  
المسلمين، وإدارة الجيوش في الجهاد، وفي بناء الدولة وغير  
ذلك. وكانوا أيضاً رواد حضارة إسلامية كان لها أثرها الكبير في  
تاريخ الحضارة الإنسانية. وكان لكل ذلك أثره الكبير في امتداد  
وانتشار الإسلام في العالم.

وبفضل الله تعالى ومنه وكرمه، أعطى الله هذا النبي من  
الحكمة ما أرسى بها مبادئ أساسية وجمّة في الحياة العامة، وفي  
التنمية المستدامة، لقومه ولمن بعدهم من العالمين كافة، ولعل  
في حديث النبي صلى الله عليه وسلم، لسعد بن أبي وقاص رضي  
الله عنه - مثلاً مميّزاً على ذلك - عندما رآه يتوضأ ويسرف في  
الماء، فقال له: ما هذا السرف؟ فقال سعد: أفي الوضوء سرفٌ  
يا رسول الله؟ (والوضوء عبادة)، فقال له النبي، معلماً الأجيال  
المتعاقبة أهمية الاقتصاد في استهلاك الثروات الطبيعية - التي  
وهبها الله وسخرها لنا - ضمن الحاجة فقط: «نعم ولو كنت على  
نهرٍ جارٍ». (رواه الإمام أحمد وابن ماجه).

وفي حديث الفسيلة مثال مميّز آخر، حيث يقول عليه الصلاة  
والسلام: «إن قامت الساعة، وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع  
أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها» (رواه البخاري في الأدب

المفرد وغيره). وهذا ما يؤكد أن العمل في الإسلام مطلوب من الإنسان لذاته، وفي سبيل عمارة الأرض حتى آخر لحظة في الحياة الدنيا، وليس لمجرد كسب القوت والمال. وغير ذلك كثير من الأحاديث التي بقيت خالدة في مبناها ومعناها على مر العصور والأزمان.

#### 4- الإيمان بالملائكة

عجبت لمن له عقل وفكر، وسمع وبصر، كيف لا يؤمن بوجود الملائكة، وهم خلقٌ من خلق الله تعالى وقوة من قوى الكون المؤمنة بالله خالقها، وهي مخلوقات غيبية عنّا، والإيمان بهم من أركان العقيدة الإسلامية ولو كنا لا نراهم. وملك الموت واحدٌ منهم، يقول تعالى: ﴿قُلْ يَنفُوكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: 11]. ومنهم الموكّلون بأمر الجنة والنار، ومنهم الموكّلون بكتابة عمل الإنسان ورزقه وأجله و... وكل ذلك يبعث الطمأنينة في نفس الإنسان المؤمن، حيث يشعر بأن الله سبحانه وتعالى وكلّ به ملائكة يدعون له، وحفظه يحفظونه، ويحمونه ويدافعون عنه، إذا صلح إيمانه وعمله كما ورد في كثير من الآيات القرآنية. وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكاً تلفاً».

## 5- الإيمان باليوم الآخر

عجبت لمن له عقل وفكر، وسمع وبصر، كيف لا يؤمن بالحساب واليوم الآخر، خصوصاً وأن الله تعالى جعل الحياة الدنيا دار ابتلاء (أي امتحان)، حيث يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا...﴾ [الملك: 2]. وجعل له العقل ليميز به بين الخير والشر، ولا بد من المحاسبة على هذا الاختيار، خصوصاً أن المجتمع قد يرى بعض أفعال الإنسان، ولا يرى البعض الآخر، ويكون في هذا البعض الآخر ضررٌ على المجتمع وعلى البشرية، كالغش والسرقة والقتل وغيرها. وفي الإيمان بالحساب في اليوم الآخر استقامةٌ للفرد والمجتمع على حدٍ سواء. ولذلك فإن الحساب بعد الموت والإيمان باليوم الآخر يُحيي في الإنسان وازعاً إيمانياً يجعله يلتزم بالحلال، ويجتنب الحرام، مهما كانت مغريات الحرام، إيماناً منه بأن عدالة الله المطلقة، ستعطيه حقه ولو منعه الناس أجمعون، وأنه سينال على الحرام عقابه ولو لم يعلم به أحد ﴿وَإِنْ كُلاًّ لَمَّا لِيُؤْفِقَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [هود: 111].

وقد استدلل القرآن الكريم على البعث يوم القيامة والحساب، بالخلق الأول والنشأة الأولى. يقول تعالى: ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا \* أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا \* فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ

جَهَتَّمْ حَيْثَا ﴿ [ مريم : 66 - 68 ] . ولا شك بأن الذي خلق الكون ومجراته والسموات والأرض، قادر على أن يحيي الموتى . يقول تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقِهِنَّ يَفْقَدِرُ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [ الأحقاف : 33 ] . وقد شبّه القرآن الكريم خروج الإنسان من الأرض يوم القيامة، في عدة آيات، كخروج النبات من الأرض . وقد أثبت العلم الحديث (في القرن العشرين) وجود خلية في جسم كل إنسان لا تتلف في الأرض، ولا في النار، مهما طال عليها الزمن، وقد جاء الخبر عن ذلك في حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيث يقول : «إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً، فيه يُرَكَّب يوم القيامة . قالوا : أيَّ عَظْمٍ هو يا رسول الله؟ قال : عَجَبُ الذنْب»، والعَجَبُ هو العظم الذي في أسفل الصُّلْب عند العجز . (رواه مسلم) .

## 6- الإيمان بالقضاء والقدر

عجبت لمن له عقل وفكر، وسمع وبصر، كيف لا يؤمن بالقضاء والقدر، وقد ورد في القرآن الكريم قصص وعبر وآيات كثيرة، وكذلك في أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فقصة يوسف عليه السلام تبدأ من كيد إخوته له لأنه كان الأحب إلى أبيهم، فألقوه في البئر، ليخرج ويتربى في كنف عزيز مصر، ثم يسجن، ثم ليخرج من السجن لتفسير رؤيا عزيز مصر، وإذا به

يترقى حتى يصبح الأمين على خزائن الأرض. وكذلك قصة  
 نبي الله موسى عليه السلام مع العبد الصالح الذي آتاه الله العلم  
 اللدني فإذا به يقوم بثلاثة أفعال يحسبها موسى عليه السلام شراً  
 كاملاً، ولكنها بعلم الله عز وجل، وبقدره تكون خيراً لأصحابها،  
 ليتجلى قول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿... وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا  
 شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ  
 وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: 216]. يقول الحسن البصري  
 رحمه الله: لا تكرهوا المسلمات الواقعة، فلرب أمر تكرهه فيه  
 نجاتك، ولرب أمر تحبه فيه عطبك. ومن ملاء الإيمان بالقضاء  
 والقدر قلبه، عاش حياته مطمئناً سعيداً. يقول الرسول المصطفى  
 عليه الصلاة والسلام: عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير،  
 وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن. إن أصابته سراءٌ شكر، فكان خيراً  
 له، وإن أصابته ضراءٌ صبر، فكان خيراً له. (رواه مسلم)  
 ويقول أحد العلماء: إني أدعو الله في حاجتي، فإذا أعطاني  
 إياها فرحتُ مرة، وإذا لم يُعطني إياها فرحتُ عشرات المرات،  
 لأن الأولى اختياري، والثانية اختيار الله تعالى وهو علام الغيوب.  
 «والله يعلم وأنتم لا تعلمون».

## خاتمة الفصل الأول

عجبت لمن له عقل وفكر، وسمع وبصر، كيف يزعم أو يصدق أن «الدين أفيون الشعوب»، وهو يرى كتاب الله الخاتم يدعو دائماً إلى العقل. فالعقل هو مناط التكليف، وهو القوة الخفية الأكيدة التي وضعها الله في الإنسان لتطور الحياة الإنسانية، من لدن آدم عليه السلام، بعد أن علمه الله تعالى الأسماء كلها وأسكنه الأرض ليعمرها بعلمه وعقله ولتتراكم إنجازات هذا الإنسان على مر العصور والأزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها. والدعوة إلى إعمال العقل في كل الأمور، وردت في آيات كثيرة «أفلا تعقلون»، «لعلكم تعقلون»، «لقوم يعقلون»، «أفلا تتفكرون»، و«أفلا تدبرون»... ليس هذا وحسب، بل حذر القرآن الكريم ونهى عن تعطيل العقل وعدم استعماله، حيث يقول تعالى:

﴿... لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَهُمْ ءَاذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾

[ الأعراف : 179 ]. وهل الأفيون إلا تعطيل للعقل!؟

عجبت لمن له عقل وفكر، وسمع وبصر، كيف لا يرى في الدين الإسلامي منارة خالدة للدعوة إلى العلم، الذي هو غذاء العقل، وأول كلمة نزلت في القرآن الكريم «اقرأ»، ودعوة الإسلام للاستزادة في طلب العلم، دعوة ثابتة في القرآن الكريم، ومنذ أربعة عشر قرناً، «وقل رب زدني علماً»، ويقول النبي المصطفى

عليه الصلاة والسلام: «من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيي به الإسلام، كان بينه وبين الأنبياء في الجنة درجة واحدة». (الترغيب والترهيب من الحديث الشريف - زكي الدين المنذري - دار الكتب العلمية - ط 1)، وفي حديث آخر: «اطلبوا العلم ولو في الصين» (أخرجه ابن عدي والبيهقي) وبالطبع، المقصود هنا طلب العلوم الدنيوية. وهل الدنيا إلا مزرعة الآخرة!؟

عجبت لمن له عقل وفكر، وسمع وبصر، كيف لا يعمل في دينه، لندياه وآخرته معاً، والله تعالى قرن الإيمان بالعمل الصالح في أكثر من سبعين آية في القرآن الكريم ﴿...الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ...﴾ للدلالة على أهمية العمل في الإسلام. ولذلك كانت مرتكزات الحضارة الإسلامية، التي عمّ نورها أرجاء المعمورة، ثلاثة: هي الإيمان والعلم والعمل. فالإيمان هو الأساس والمنطلق. والتشريع الإسلامي هو الذي دعا إلى العلم والعمل معاً. وعلوم الدين تنهى عن العلم بلا عمل. ودعاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا، وزدنا علماً» يربط العلم والزيادة فيه بالنفع المباشر للإنسان. والعلم بلا عمل يقود إلى ما لا تحمد عقباه. قال الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «من عمل على غير علم، كان يفسد أكثر مما يصلح»، وقال الإمام الغزالي رحمه الله: «العلم بلا عمل جنون، والعمل بغير علم لا يكون».

الكتاب على الموقع الإلكتروني:

[www.abdulilahmikati.net](http://www.abdulilahmikati.net)